

مطالعات في الأدب العربي

عقليات الشعوب في معادلات رياضية للأستاذ علي كمال

الإنساني وعن التغيرات التاريخية وهذه هي :

الحقيقة - الأحلام = كائن حيواني

الحقيقة + الأحلام = صداع القلب (يسمى عادة: المغالية)

الحقيقة + روح النكتة = الواقعية

الأحلام - روح النكتة = التعمب

الأحلام + روح النكتة = الوم

الحقيقة + الأحلام + روح النكتة = الحكمة

وعلى ذلك فالحكمة أو أرق أنواع التفكير تتألف في ربط

أحلامنا بروح الفكاهة والنكتة ودعمها بالحقيقة نفسها

ولعل المعادلات التالية تفصل ما وصلت إليه من دراسة

عقليات الشعوب ، والمجال واسع لمعارضتها وقدما

إذا رمزنا للحقيقة أو الواقع بالحرف «و» وللحلم بالحرف «ح»

ولروح النكتة بالحرف «ن» وللماطفة بالحرف «ع» ، ثم

استعملنا الأعداد ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ للدلالة على نسبة حظ الشعوب

من هذه العناصر خرجنا من ذلك بمعادلات يظهر منها أن الجنس

البشري في أفراد وجماعته يسلك سلوكاً متبايناً بالنسبة إلى حظه

من هذه العناصر بنفس الطريقة التي تملك فيها العناصر والمركبات

الكيميائية في تفاعلها . وما دوننا لا نستطيع أن نخلق اصطلاحات

كالمستعملة في علم الكيمياء مثلاً فلنا أن نعبّر عن هذه المركبات

بمقادير ذرية كأن نقول ٣ ذرات في الحقيقة حق ٣ ، وذرتين

في الحلم ح ٢ وهكذا

حق ٢ ح ٢ ح ٢ ن ٢ ع ١ = الإنجليزي

حق ٢ ح ٢ ح ٢ ن ٢ ع ٢ = الفرنسي

حق ٢ ح ٢ ح ٢ ن ٢ ع ٢ = الأمريكي

حق ٢ ح ٢ ح ٢ ن ٢ ع ١ = الألماني

حق ٢ ح ٢ ح ٢ ن ٢ ع ١ = الروسي

حق ٢ ح ٢ ح ٢ ن ٢ ع ١ = الياباني

حق ١ ح ١ ح ٢ ن ٢ ع ٢ = الصيني

ولست أعلم عن الإيطاليين والأسبانيين والمغربيين ما يمكنني

من وضع مثل هذه المعادلات لهم ، وأنا واثق بأن هذا

« لن يوتاج » أعظم الكتاب الصينيين المعاصرين ، وهو من أشهر مفكري القرن العشرين وكتبه من أوسع الكتب الحديثة انتشاراً ، اكتسب شهرة واسعة لتوفقه في فهم طبيعة العقل الغربي ومقارنته بأعرق العقليات الشرقية قديماً وهو العقل الصيني . وكتابه « أهمية الحياة » يعتبر أهم كتبه وقد أعيد طبعه في أمريكا أكثر من عشر مرات في نحو من ستين . وفي هذا الكتاب فصول قيمة تنقل إلى القارئ منها خلاصة فصل طريف منه دراسة لعقليات الشعوب حاول رسمها بمعادلات رياضية

« ... يظهر أن الجنس البشري يقسم إلى طائفتين : الواحدة مثالية والأخرى واقعية . والثالية والواقعية هما القوتان العظيمتان اللتان تتجاذبان التقدم الإنساني . فطغى الإنسان . فطغى الإنسان قد صار ليناً مرناً بماهية الثالية ... إن هاتين القوتين الثالية في طرف والواقعية في طرف آخر تتجاذبان في جميع حقول النشاط الإنساني ، والتقدم الحقيقي ممكن فقط بمزج هذين العنصرين بنسب موائمة حتى يظل الطين لنا مرناً ، فلا يشتد طبعه فيصعب تديره ، ولا يلين قوامه فيصبح وحلاً . فالشعب الإنجليزي وهو أحكم الشعوب قد مزج الواقعية والثالية بنسب موائمة فلم يترك المزيج قاسياً يصعب على الفنان تديره وتناوله ، ولم يتركه مرناً فلا يقوى على حفظ شكله وقوامه

وبعض الأمم في ثورات متتالية ، ذلك لأنه قد حقن في طبيعتهم الأصلية بعض السائل من مثاليات الأمم الأجنبية التي لم تمثل بعض في طبيعتهم ، لهذا لم تقو طبيعتهم الأصلية على حفظ شكلها لقد فكرت في معادلات يمكن بواسطتها أن نعبّر عن التقدم

يا سواقى . . .

[إلى التي ترمع على غدرانها شبان]

فرَّق الدهرُ بيننا «يا سواقى»
 أين للقلب لحظةً من لياليه
 كان لي في رحابك الخضر دنيا
 واللى عذبةٌ كإشراقِ الوص
 والصباحةُ على ضفةِ الخلا
 ولقد كنت للشباب سلاًفاً
 كنت لي كوترأ يظهر تفسى

يا «سواقى القيوم» طال غيابي
 كنت دنيا من فتنةٍ وخيالٍ
 كنت سلوى لمهجةٍ قد نلظت
 كنت أبكى فتجبس دمعى
 كم خلالي في نبتك اضطباحي
 كنت نيم الصديق إن عبس الده
 ذقت طم الوفاء من كُوبك الخلا
 عاش فكري مع الحياة أسيراً
 ورأى عندك البشاشة والصن
 حال بيني وبينك اليوم عيش
 أين موج من «بحر يوسف» يسرى

والأغاني تسيل من أبواقى ؟
 ورياض «القيوم» رنحتها الحد
 وغرامى الذى نما عند شطبي
 وحيبي الذى تلهى به العيد
 خدعت روحه الزحارف فى الأرق
 كم بشت الرجاء شعراً فصادت
 نسى الحب والسواقى وصبا

«ياسواقى» ذكر الكتشى كيانى
 وخذبتى من قبضة الفكر يوماً
 صنت فى مهجتي هواك قصوى

أحمد اسماعيل المصطفى

القليل الذى وضته سيكفى لفتح سيل عمرهم على رأسى من النقد
 ولا بد من الملاحظة على هذه المعادلات ، فمها يظهر أن
 الفرنسيين أقرب الناس إلى الصينيين من حيث روح النكتة
 والمطانية ، كما يتضح ذلك فى كيفية كتابة الفرنسيين لكتبهم
 وأكلهم وطعامهم . ولكن طبيعة الفرنسيين المتبخرة ناتجة عن
 مثالية أوسع تأخذ شكل الحب للفكر المجرد

واليابانيين والألمان متشابهون جداً فى قناتهم لروح النكتة
 والفكاهة ، وما دام من غير الممكن وضع صفر كدرجة لهم
 فى هذا المنصر من مركبهم العقلى فأنا أضع « ١ » وأعتقد بأنى
 حق فى ذلك . غير أنى أعتقد بأن اليابانيين والألمان قد قاسوا
 كثيراً فى حياتهم السياسية وقاسون الآن بسبب إخفاقهم
 فى امتلاك روح نكتة وفكاهة ملائمة . وعند ما وضعت ح ٣
 لليابانيين عنيت بذلك ولادم التمصبى لأميراطورهم ولعولتهم
 القرى ما كان ممكناً لو أن فى عقليتهم بعض الشيء من روح النكتة
 ... إن هنالك تجاذباً طريفاً فى أمريكا بين المثالية والواقعية
 وكتاتهما متمثلتان بقوة كبيرة ، وهذا يفسر لنا النشاط والقوة التى
 يتصف بها الأمريكيون . إن الكثير من مثالية الأمريكيين نبيل
 بمعنى أن الأمريكيين يلبون بسهولة دعوة نبيلة محقة ، ولكن
 البعض من مثاليتهم يتصف بروح الأساطير

والإنجليز كما يظهر لى إجمالاً أحكم الشعوب ، فإن « ح ٣
 ح ٢ » تنطق بالثبات والاتزان ، وهى أقرب للمعادلات للمعادلة
 المثالية فى نظرى ، وهى (ح ٣ ح ٢ ن ٢ ح ٢) التى قصر الإنجليز
 عن بلوغها بدرجة واحدة فى المطانة

من دراسة عقليات الشعوب فخرج بهذه النتيجة : فى الصين
 يعيش الرجل حياة أقرب إلى الطبيعة وأقرب إلى الطفولة ، حياة
 تمارس فيها التراث والمواظف بحرية تامة ، وتؤكد هذه الحياة
 بقوة ضد الفكر . وعلى هذا فلسفتهم فى الحياة توصف بما يلي :

أولاً : رؤية الحياة تامة فى الفن ، ثانياً : رجوع واع
 البساطة فى الفلسفة ، وثالثاً : « مثال » من التمثل فى الحياة .
 خلاصة هذه الفلسفة جميعها هى عبادة الشاعر والفلاح والتشرد

هو كال